الدرس الثالث عشر

حكمة سليمان

سفر الجامعة

1. مقدّمة

ما الذي يجعل سفر الجامعة سفراً ذا صلة بالناس اليوم؟ يريد الإنسان أن يحيا حياة متعة تسعى إلى إشباع الذات دون أية مساءلة أخلاقية أمام الله القدّوس الخالق. لكن قلب الإنسان لن يقنع بهذا، لأنّ في قلبه شوقاً قلقاً لفهم الحياة وإيجاد معنى لها. غير أن الإنسان مبتلى بأسئلة لا يستطيع الإجابة عنها. فهو لا يستطيع أن يفسّر لماذا يولد إنسان ما غنياً متمتعاً بكل ميزة في الحياة، بينما يولد إنسان آخر فقيراً ومحروماً. لا يستطيع أن يفسِّر لماذا يولد طفل موفور الصحة، بينما يولد آخر مريضاً. فهل نعترف بيأسنا ونستنتج أن الحياة عبثية باطلة؟ وهل يَهُم كيف أحيا الحياة؟

2. كلمة رئيسية: باطل

إن إحدى الكلمات الرئيسية لسفر الجامعة هي "باطل." بعد المقدّمة يصرّح الكاتب في بداية الآية 1: 2، "باطل الأباطيل! الكل باطل." وقد استخدمت ترجمة *NIV* ترجمتها "بلا معنى." ولسوء الحظ، فإن أياً من هذين التعبيرين غير كافٍ لفهم مراد سليمان.

إن كلمة باطل (هِبل، הֶבֶל, *hebel*) ترجمة لكلمة عبرية تعني "بُخار" أو "نَفَس." فكما يختفي البخار في الهواء، يمكن أن يوصف شيء بأنه "باطل" بمعنى أنه سريع الزوال أو قصير العمر. ولا تعني هذه الكلمة (كما هي مستخدمة في سفر الجامعة) أن شيئاً بلا قيمة أو دون معنى، بل عدم قدرة المرء على *الإمساك* به أو استيعابه. فهو يفلت منّا قبل أن تتاح لنا فرصة فحصه بشكلٍ كافٍ. ومن هنا، فإن هذه الكلمة تشير إلى فئةٍ كاملة من الحياة لا معنى لها. وفضلاً عن ذلك، فغالباً ما يجاهد الإنسان لفهم مصيره، لكن هذا أمر *عديم الجدوى*، لأنه لا يستطيع دائماً أن يفهمه أو أن ينظر إليه من خلال "الصورة الكاملة."

ونجد معنى *هِبل hebel* موضحاً بشكل جيد في جامعة 8: 14 حيث تُترجم الكلمة إلى "عديم الجدوى" في *NASB* (على الرغم من أنها تُترجم إلى "بلا معنى" في *NIV*). "يوجد باطل (عدم جدوى، عبث) يجري على الأرض: أن يوجدَ صِدّيقون يصيبُهم مثل عمل

الأشرار، ويوجد أشرار يصيبُهم مثل عمل الصدّيقين. فقلتُ: هذا أيضاً باطل (عديم الجدوى، عبث)." وهكذا غالباً ما لا تكون الحياة مفهومة – فغالباً ما تكون *متناقضة ظاهرياً*.

لا تقف المشكلة عند صعوبة ترجمة الكلمة العبرية *هِبل hebel* إلى اللغة العربية، إذ يجب أن ننتبه إلى احتمال حمْل هذه الكلمة ظلال معانٍ عديدة. خذ مثلاً كلمة *هِبل hebel* في 11: 10 حيث يبدو أن هذه الكلمة تعني *سريع الزوال*. ففي الجزء الأخير من الآية يؤكّد سليمان أن "الحداثة والشباب باطلان (*سريعا الزوال*، *هِبل hebel*)." وهكذا، بالاعتماد على القرينة، يمكن أن تعني الكلمة "مُحَيِّر، مُربِك" أو في حالات أخرى تعني "زائل."

يبدأ السِّفر بطرح مثل هذا السؤال، لكن هل ينبغي أن نستنتج أنه يشكّل عاطفة شخص متشكك أخرج الله من حياته، فلا يستطيع بعد ذلك إلاّ أن يخلُص إلى نتائج خاطئة؟ قطعاً لا. إذ يعترف الجميع تقريباً أننا عندما نصل إلى نهاية السِّفر، يقول لنا الكاتب شيئاً يتضمّن حكمة روحية. لكن حتى عند تلك النقطة، يقول سليمان: "باطل الأباطيل" (12: 8). ليس هذا إذاً تعبير شخص متشكّك غير مؤمن، أو تعبير إنسان بدأ متشككاً لكن تمكّن قبل نهاية السفر من فهم أمور الحياة. فعندما يتحدث عن *عدم جدوى* (*هِبل hebel*) الحياة، فإنه يتحدث بصدق من البداية إلى النهائية. فالحياة محيّرةٌ بالفعل، وغالباً ما تكون متناقضة ظاهرياً.

والمسألة هي "ما الذي سنفعله تجاه هذا الأمر؟" هل نعترف بفشلنا وبيأس. هل نأكل ونشرب ونمرح لأننا غداً نموت؟ ماذا يمكننا أن نفعل؟

3. بُنية السفر[1]

[1] للاطلاع على محاولة مفيدة لفهم البُنية الأدبية للسفر، انظر James S. Reitman, "The Structure and Unity of Ecclesiastes," *BibSac* 154: 615 (Jul –Sep 1997): 297-319.

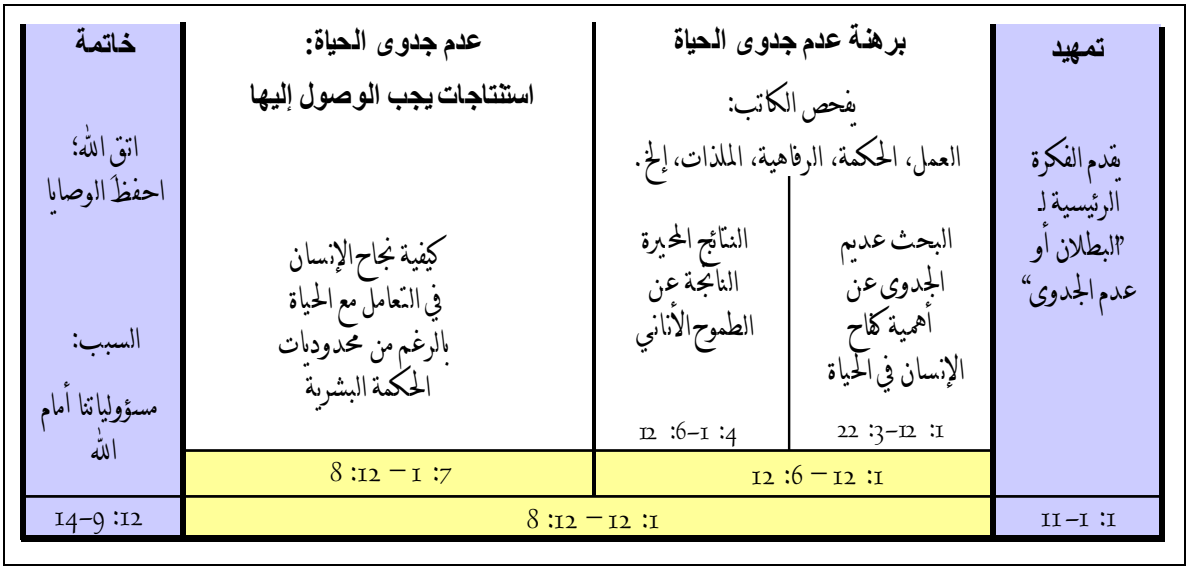

4. ملاحظات هامّة

أ. تشمل الأمور التي يضعها السفر تحت مجهر الفحص "العمل" و"الحكمة" اللذين يُعتبران صالحين في أجزاء أخرى من الكتاب المقدس. ولهذا فإن تقديره لهما على أنهما "عديما الجدوى" لا يعني على الأرجح أنهما بلا قيمة، بل غير مفهومين.

توضيح: اعتمد سليمان على هذه الأمور من أجل فتح الباب الذي يجعل حياته ذات قيمة. ولا يمكن لأي واحد من هذه الأمور يفتح معنى الحياة. قد تكون هذه الأمور صالحة، لكنها غير كافية في حد ذاتها لفهم الحياة. وإن السعي إلى أي أمر من هذه الأمور واستثناء كل شيء آخر هو عديم الجدوى بالفعل. إذ لا يفتح أي من "المفاتيح" الباب لجعل كل الحياة مفهومة.

ب. لاحظ اللازمة المتكررة التي تحضّ على التمتع بالحياة:

1. 2: 23 – 24؛ 3: 12 – 13؛ 3: 22؛ 5: 18 – 19؛ 6: 12؛ 8: 14 – 15؛ 9: 9

2. ليست الحياة بلا معنى، أي لا يمكن التمتع بها، إذ يوجد صلاح واستمتاع في الحياة. وهي محيّرة/ عديمة الجدوى بمعنى أن تفاصيلها لا تفسّر الكل.

ج. العجز عن الاكتشاف في الحياة وعدم القدرة على التنبؤ بالحياة

1. لا يمكن في الغالب التنبؤ بالحياة. فعندما تعتقد أنك تعرف ما يمكنك توقُّع حدوثه، فإن ما يحدث في الغالب هو نقيض ما تتوقعه (6: 12؛ 7: 13–14؛ 8: 7؛ 10: 14).

"انظر (تأمّل) عمل الله،

لأنه من يقدر على تقويم ما عوَّجه؟

في يوم الخير كن بخير،

وفي يوم الشرِّ اعتبرْ.

إن الله جعل هذا مع ذاك،

لكيلا يجد الإنسان شيئاً بعده" (7: 13–4).

[يوحي الشطر الأخير بأن المرء لا يستطيع أن يعرف الأمر التالي الذي سيحدث]

2. لدى الإنسان إحساس غريزي بأنه توجد علّة أولى وراء هذه الحياة. غير أن الإنسان يعجز في الغالب عن اكتشاف ما يفعله الله حقاً أو لماذا يفعل ما يفعله (3: 11).

3. لا يقدر الإنسان أن يرى الصورة كاملة. إنه راغب في فهم الحياة، لكنه غير قادر على فعل ذلك، لكنه لا يستطيع ذلك من خلال ما يسعى إليه المرء في الحياة في مجال العمل واللذّة، وما إلى ذلك.

4. على الرغم من أن عدم قابلية الحياة للتنبؤ بها في الغالب، وان الإنسان لا يقدر أن يكتشف طرق عمل الله، إلاّ أنه ينبغي علينا أن نقبل بحقيقة أن التفاصيل "هي في يدي الله."

"لّما وجّهت قلبي لأعرفَ الحكمة، وأنظر العمل الذي عُمِل على الأرض، وأنه نهاراً وليلاً لا يرى النوم بعينيه (لا ينبغي أن ينام نهاراً أو ليلاً)، ورأيت كل عمل الله، (استنتجتُ) أن الإنسان لا يستطيع أن يجيد العمل الذي عُمِل تحت الشمس. مهما تعِب الإنسان في الطلب فلا يجده، والحكيم أيضاً، وإن قال بمعرفة (إن أدّعى المعرفة)، لا يقدر أن يجده.

لأن هذا كلَّه جعلتُه في قلبي، وامتحنتُ هذا كلَّه (وأشرح): أنّ الصّدّيقين والحكماء وأعمالهم في يد الله. الإنسان لا يعلم (إنْ كان سيكون) حبّاً (ازدهاراً) ولا بُغضا (أو مصيبةً)، الكل (فأي شيء) أمامهم" (8: 16 – 9: 1).

5. وبسبب هذه المعضلة، يُدفع الإنسان إلى النظر إلى خالقه. قال أحد الكتّاب: "يبدو إذاً أن المغزى الرئيسي للسفر هو أن يدرك المرء أن لله خطّة كلية لكل الأحداث التي تحدث، وأنه يمكننا أن نفهم أن مثل هذه الخطة موجودة، وأنه ينبغي أن نلجأ إلى الله بحثاً عن أجوبة. غير أننا نعرف أيضاً أنه لا يمكننا أن نحصل إلا على أجوبة جزئية في هذا العالم."[2]

د. توجد لازمة متكررة تحث الإنسان على أن "يتقي الله".[3]

[2] Louis Goldberg, *Ecclesiastes*, 16.

1. انظر 3: 14؛ 5: 7؛ 7: 18؛ 8: 12–13؛ 12: 13.
2. ربما تُعوَّج العدالة في الحياة الراهنة على الأرض، لكنّ الله سيعطي حكماً بارّاً في نهاية الأمر (3: 16–17).
3. قد يعتقد الناس مخطئين أن حياة البر ليست أمراً ضرورياً لأن الدينونة البارّة لا تأتي دائماً بشكل فوري. غير أن الذي "يتقي الله" سيكون على أحسن حال في نهاية الأمر (8: 11–13).
4. ترتبط فكرة "مخافة الرب" ارتباطاً وثيقاً بالمساءلة والمحاسبة. انظر 12: 1–2، 13–14؛ قارن 3: 17؛ 9: 1؛ 11: 9. ينبغي أن تُعاش الحياة بروح المسؤولية.

5. غرض سفر الجامعة[4]

على الرغم ممّا يبدو من عدم جدوى الحياة، لا يستطيع الإنسان أن يتنبأ بما سوف يحدث أو يكتشف كيف يفهم الصورة الكلية (أي أن يعرف خطة الله الكاملة)، إلاّ أن الحياة ليست لغزاً للحل، بل هبة ينبغي التمتع بها بروح المسؤولية أمام الله.

يخلُص دون جلين،

> "ينبغي أن تُعاش الحياة في اتكال كامل على الله، وأن يتلقاها المرء ويتمتع بها كهبة من يد الله الصالحة، وأن يحياها في ضوء دينونته المستقبلية."[5]

ويقدّم ريتمان بياناً مماثلاً، لكن أكثر إسهاباً، لسفر الجامعة:

> عن طريق تأمل الكاتب في بحثه العقيم عن أية ميزة لعمل الإنسان "تحت الشمس،" يكشف الكاتب عجز الإنسان الوجودي – معيداً سبب العجز إلى عدم يقينه وفساده، وفنائه المتأصلة – وبالتالي يحدد أن الرجاء الوحيد في إيجاد معنى يتمثّل في الخضوع الصبور لمقاصد الله السيادية (على الرغم من أنها غير قابلة للفحص عن كثب)، لكي ييأس القارئ من التمتع بميزة الحكمة كوكيل قابل للمساءلة على "عمل الله."

---

[3] إن تعبير "مخافة الرب" سمة من سمات أدب الحكمة (انظر أيوب 28: 28؛ أمثال 1: 7). والحكمة أساساً هي مهابة تتسم بالتوقير تؤدّي إلى الخضوع إلى سلطة الله وجلاله.

[4] لمزيد من فهم موقف سفر الجامعة وقصده، انظر Ardel B. Caneday, "Qoheleth: Enigmatic Pessimist or Godly Sage," *Grace Theological Journal* 7: 1 (Spr 1986): 21-56.

[5] Donald Glenn, "Ecclesiastes," in *The Bible Knowledge Commentary, Old Testament*, 978.

ينبغي أن ينتج عن هذا، وفي ضوء الاستنتاج السابق، حياة إيمان. ويمكننا أن نتلمس، ضمن سفر الجامعة، ثلاثة أبعاد لإيمان سليمان.[6]

1) الله حكيم ولديه خطّه.

على الرغم من أنّ خطّة الإنسان في كليتها مخفية عن عيني الإنسان، إلا أننا نجد تعزية في معرفة أنّ لدى الله خُطّة.

2) ليس الله حكيماً فحسب، لكنه صالح أيضاً.

فمهما جلب الله لنا، فإنه يجلبه كهبة منه، وهو لهذا صالح. ولا ينطبق هذا على الأمور الصالحة في الحياة (طعامنا وشرابنا) فحسب، بل ينطبق أيضاً – بالإيمان – على الأشياء التي لا نرغب فيها عادة لأنفسنا.

3) ليس الله حكيماً وصالحاً فحسب، لكنه عادل أيضاً (إذ هنالك يوم دينونة آتٍ). وفي التحليل النهائي سيعطي الجميع حساباً لله عن أنفسهم، وسيصوَّب الخطأ.

ماذا ينبغي أن نتعلم من سفر الجامعة

لا تنتظر إلى أن تفهم الحياة كلها قبل أن نستنتج أن الحياة تستحق أن تعاش. ليكن لك إيمان بالله واقبل الحياة التي يعطيك إياها. انظر إلى الحياة على أنها هبة منه، وعِشْها بشعورٍ بالمسؤولية، سواء صادفت الازدهار والنجاح أم الشدة. وسيحكم الله على كل شيء بشكل بارٍّ وعادلٍ في نهاية الأمر، وسيفوز الذين "اتّقوا الله."

[6] For these suggestions about Solomon's faith, I am indebted to Bruce K. Waltke, "The Bible's Black Sheep," *Masterpiece* (May-Jun 1990): 25.